اليهود والرومان وإشكاليات العلاقات الفكرية والدينية

The Jews and the Romans and the problems of intellectual and religious relations

إعداد

آلاء عبد المحسن جبار النصيري

طالبة دكتوراه، قسم العقيدة والفكر الإسلامي، جامعة ملايا

كولالمبور- ماليزيا

alaa66457@gmail.com

إشراف

د. محمد عبد الحميد سالم القطاونة

قسم العقيدة والفكر الاسلامي

أكاديمية الدراسات الإسلامية

qatawneh@um.edu.my

أ. د. خديجة محمد كمبالي

قسم العقيدة والفكر الإسلامي

أكاديمية الدراسات الإسلامية

ijamh@um.edu.my

الملخص

هدفت هذه المقالة الى بيان الاشكاليات والعلاقات الفكرية والدينية لليهود والرومان، حيث تكمن أهمية الدراسة في بيان الحضارة الرومانية والمراحل التي مرت بها وصلتها بالحضارة الإغريقية ومدى تأثرها بالفكر الديني الإغريقي، ومن ثم تأثيرها على الفكر الديني لدى اليهود، وتكمن مشكلة الدراسة في وجود إشكاليات في العلاقات الفكرية والدينية للرومان واليهود وأثر كل منهما على الآخر، واتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتحليل الاشكاليات والعلاقات الفكرية الدينية لليهود والرومان.

الكلمات المفتاحية: اليهود، الرومان، الفكر، الدين

ABSTRACT:

This article aimed to clarify the problems and the intellectual and religious relations of the Jews and the Romans, where the importance of the study lies in the statement of the Roman civilization and the stages it went through and its connection with the Greek civilization and the extent of its influence on the Greek religious thought, and then its impact on the religious thought of the Jews, and the problem of the study lies in the presence of problems in the relations The intellectual and religious aspects of the Romans and the Jews and their impact on the other. In this study, the descriptive analytical approach was followed to describe and analyze the problems and the religious intellectual relations of the Jews and the Romans.

Keywords: Jews, Romans, thought, religion

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

من المعلوم أن الإمبراطورية الرومانية كانت تمثل أحد أكبر القوى في العالم في ذلك التاريخ- ان لم تكن أكبرها- ومن الطبيعي أن تضم هذه الإمبراطورية بين جنباتها أقاليم كبيرة ومدناً كثيرة وأقواماً شتى يمثلون بمجموعهم رعايا هذه الإمبراطورية..

ويُعد-اليهود- في طليعة رعاياها، ومن الطبيعي أن يكون هناك تواصل وتعارض بين الطرفين في ذات الوقت، فاليهود كانوا أصحاب ديانة، والإمبراطورية الرومانية كانت وثنية، فكانت العلاقة بينهما محكومة بالواقع السياسي للإمبراطورية من جهة، وبما يمارسه اليهود من طقوس تعبدية تتصادم مع توجه الإمبراطورية والذي يتقاطع مع فكر الإمبراطورية الرومانية، مما خلق حالة مستدامة من التنافر بينهما..

وفي هذا البحث سنحاول الوقوف على أبرز الإشكاليات الدينية والفكرية التي محور الصدام بين الرومان واليهود.

أهداف البحث:

١) التعرف على الحضارة الرومانية وتأثرها بالحضارة الإغريقية.

٢) تسليط الضوء على العلاقة بين اليهود والرومان.

٣) الكشف عن اعتناق الرومان للديانة النصرانية.

أهمية البحث:

١) بيان الحضارة الرومانية والمراحل التي مرت بها وصلتها بالحضارة الإغريقية.

٢) بيان الاشكال الديني الفكري في الحضارة الرومانية وتأثيرها على علاقتهم باليهود.

وسيتم بعون الله تعالى استخدام المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي لتأصيل مفاهيم البحث وتحقيق أهدافه.

مصطلحات البحث:

اليهود: هم شعب سام سكن الجزيرة العربية، ومن ثم انتقل إلى فلسطين حيث أستقر وأنشأ مملكة بل، ومن ثم انتقل إلى فلسطين حيث أستقر وأنشأ مملكة بلغت أوج عزها أيام الملك سليمان الحكيم، وقد

اختلف في تسميتهم، فقيل: هم الذين هادوا، أي مالوا عن دين موسى عليه السلام، وقيل من الهوادة أي المودة، وقيل لنسبتهم إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب [1].

الرومان: شعوب استقرت ابتداءً من القرن الثاني عشر قبل الميلاد في حوض نهر التيبر في أواسط إيطاليا، وقامت بتأسيس مدينة روما القديمة في نحو القرن الثامن قبل الميلاد، وبدأت بالتوسع تدريجيًّا عبر سلسلة من الحروب حتى سيطرت على شبه الجزيرة الإيطالية وتقدمت منه حتى سيطرت على معظم العالم القديم في آسيا وإفريقيا وأوربا [2].

الفكر: انه جملة النشاط الذهني والنظر والتدبر العقلي الذي يتعلق **بالإنسان من تحليل واستنباط** وتركيب وتنسيق مستعيناً بما لديه من استعدادات داخلية من تركيبته الجسمية والعقلية ومن الروافد الخارجية المختلفة الذي تغذي تصوره وقدرته العقلية والذهنية للوصول الى معرفة المعاني المجهولة من الامور المعلومة أو الوصول الى الاحكام أو النسب بين الاشياء أو الابتكار [3].

الدين: هو اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذُلاً وحباً، رغبة ورهبة.

التعريف فيه شمول للمعبود، سواءً كان معبوداً حقاً وهو الله عز وجل، او معبوداً باطلاً وهو ما سوى الله عز وجل، كما يشمل أيضاً العبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم سواء كانت سماوية صحيحة كالإسلام، أو لها أصل سماوي ووقع فيها التحريف والنسخ كاليهودية والنصرانية، أو كانت وضعية غير سماوية الأصل [4].

(١) حمد، حسين علي، (١٨٨٨م). قاموس المذاهب والأديان، دار الجيل، بيروت، ط١، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢) ينظر: المصري، أبو سعيد، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج١٤، ص١٦٦، المكتبة الشاملة.

(٣) سة نكاوى، فاتح محمد سليمان، (٢٠١١م)، معجم مصطلحات الفكر الاسلامي المعاصر، دار الكتب العلمية، لبنان، ص١٠٩.

(٤) ينظر: الخلف، سعود بن عبد العزيز، (١٩٩٧م). دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، اضواء السلف، الرياض، ط١، ص١١.

تمهيد

الحضارة الرومانية ومراحلها

تعد الحضارة الرومانية إحدى الحضارات القديمة، حيث تعتبر من أعظم حضارات أوروبا بعد الحضارة الإغريقية، حيث مكثت قرابة ألف سنة، نحو خمسة قرون قبل ميلاد المسيح عليه السلام وخمسة بعد الميلاد حكمت فيها معظم أوروبا، وسميت بهذا المسمى نسبة لمدينة روما التي أنشئت في عام ٧٥٣ ق.م[١]، وكانت روما حاضرة الدنيا، قد مرت بمراحل عبر القرون الغابرة، من مرحلة الملكية إلى الجمهورية، وصولاً لمرحلة الإمبراطورية وهي المرحلة الأخيرة من صفحات تاريخها القديم [٢]:

١) فالمرحلة الملكية بدأت منذ تأسيس روما واستمرت حتى عام ٥١٠ ق.م حكمها ما لا يقل عن ٦ ملوك اتسم حكمهم بطابع التنظيم الاجتماعي والاقتصادي من الوجهتين القبلية والدينية، ومع انتهاء حكم آخر ملك لروما بدأت:

٢) مرحلة النظام الجمهوري الذي سمي باسم (Res Puplica) بمعنى النظام الذي يعنى بأمور العامة والشعب، او الغالبية العظمى من الناس وليس ذلك النظام الأرستقراطي، الملكي السابق، الذي كان يعنى بمصالح الاغنياء والنبلاء والأشراف فقط، وانتهت عام٢٧ ق.م [٣].

٣) ثم المرحلة الثالثة التي تأسست فيها الامبراطورية في حدود ٢٧ق.م شهدت هذه الفترة ازدهاراً كبيراً؛ حيث امتدت الامبراطورية الرومانية إلى أقصى انتشار لها في القارات الثلاثة: شمال أفريقيا ومعظم أوروبا وآسيا الصغرى، وتم تقسيم الإمبراطورية الرومانية الى إمبراطوريتين عام ٢٨٦م:

-الامبراطورية الشرقية[٤].

- والامبراطورية الغربية.

---

(١) ينظر: علي، محمد، حضارة الرومان، ktab INC، ص١، السعدني، محمود إبراهيم، (١٩٩٨م). حضارة الرومان منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الاول الميلادي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، ط١، ص٢٣.

(٢) الموسوي، هاشم عبود، (٢٠١٣م). موسوعة الحضارات القديمة، دار الحامد، عمان، الأردن، ط١، ص١٧٩.

(٣) ينظر: أيوب، أبراهيم رزق الله، (١٩٩٦م). التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط١، ص ٢٦، السعدني، حضارة الرومان، ص٧١،٧٥. بتصرف

(٤) هي المعروفة بالإمبراطورية البيزنطية، ويعرّفها العرب بالروم، وكانت تحكم في العصر الذي نتحدث عنه، دول يونان وبلقان، وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين وحوض البحر الأبيض المتوسط [سره، ومصر وكل افريقيا الشمالية، وكانت عاصمتها القسطنطينية. ينظر: الندوي، علي أبو الحسن، (١٤٢٥هـ). السيرة النبوية، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط ١٢، ص٦٩.

وَحكمَ كُلاً منها إمبراطور، واستمرت الامبراطورية الغربية حتى سقوط روما عام ٤٧٦م، ثم تبعها سقوط الامبراطورية الشرقية والمعروفة بالإمبراطورية البيزنطية عام ١٤٥٣م على يد الاتراك [١].

المطلب الأول: إشكالية التصور الميثولوجي[٢] للحضارة الرومانية

كانت حضارة الرومان فرعاً من حضارة أعم، وهي الحضارة الهلينية[٣] (أي الحضارة الاغريقية)، ومعرفة الحضارة الهلينية يساعد على فهم حضارة الرومان وأصولها وتراثها[٤]، بدأت منذ أن تعرّض الرومان في تأريخهم المبكر للمؤثرات الإغريقية عن طريق صلاتهم بالأتروسكيين[٥]، وبالمدن الإغريقية في جنوب إيطاليا، حيث بدأ القواد[٦] الرومان والحكام والتجار يزورون الجزر الإغريقية وفي خلال القرن الثالث قبل الميلاد، وقد بلغ هذا اللقاء الحضاري أقصى مداه في القرن الثاني قبل الميلاد عندما ضمّت روما إلى إمبراطوريتها بلاد الإغريق ذاتها وجزءاً من الشرق الهيلينستي[٧] والذي كان زاخراً بالمدن الإغريقية، وما أن حل القرن الأول قبل الميلاد حتى كانت حضارتهم تعتبر ثمرة ملقمة من حضارتين حيث كانت الأشكال التي اتخذتها الآداب والفنون الرومانية أنماطاً وأشكالاً إغريقية، ويذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن الحضارة الرومانية هي حضارة يونانية بثياب رومانية وان روما قامت بالحفاظ على تراث هذه الحضارة لعصور تالية، إلا أن التقاء الحضارتين لم يكن متماثلاً في كل نواحي الحضارة الرومانية، ولا بين كل طبقات المجتمع الروماني، وذلك أن الطبقة الأرستقراطية كانت أكثر الطبقات تأثراً بالحضارة الإغريقية،

(١) ينظر: باقر، طه، (٢٠١١م). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الورّاق، بغداد، العراق، ص٦٨٦، والمالح، آية، (٢٠٢١م). الحضارة الرومانية إحدى أهم حضارات أوروبا، موقع حضارة. https://hadaarah.com

(٢) مصطلح الميثولوجي في الأصل مأخوذ من اللغة اليونانية بمعنى الأسطورة. ينظر: الأعرجي، حميدة، (٢٠٢١م). ميثولوجيا الشيطان، مطبعة الثقلين، العراق، ط١، ص٣١، وغريمال، بيار، (١٩٨٢م).الميتولوجيا اليونانية، ترجمة: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ص٥.

(٣) الحضارة الهيلينية: وهي مظهر لحياة الاغريق وأسلوب معيشتهم وفنهم وفلسفتهم، وقد غذت علومها وفلسفتها القرون الوسطى والتاريخ الحديث، وهي وأن كانت أيونية النشأة فهي قد تأثرت بتيارات شرقية في اللغة والشعر والتاريخ والعقائد الدينية والعلوم وفن العمارة والسياسة، وتمتد الى عصر الاسكندر الاكبر. ينظر: الشيخ، حسين، (٢٠٠٥م). الرومان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، د.ط، ص٣٩٠-٣٩١.

(٤) ينظر: باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص٦٥٩.

(٥) هم مزيج من عناصر حضارة ايطاليا ومن عناصر حضارية غير ايطالية وفدوا على ايطاليا من آسيا الصغرى، ويدعى الاقليم الذي سكنوه بـ (توسكانيا). ينظر: الشيخ، الرومان، ص٣٣.

(٦) أي القادة أصحاب الخبرة في الميدان العسكري.

(٧) وهي حضارة يونانية- رومانية وامتداد للحضارة الهيلينية بعد وفاة الاسكندر، وامتازت بالجمع بين الفكر الشرقي والغربي وتعددت فيها المدارس العلمية والفلسفية شرقاً وغرباً وأدركت مولد المسيح، واختلطت بحركة الآباء والمدارس المسيحية الأولى. ينظر: الشيخ، الرومان، ص٣٩١.

فقد كانت أكثر الطبقات استيعاباً للآداب والفلسفة واساليب الحياة الإغريقية، بقدر ما كان أهل الريف ولا سيما في الاماكن النائية أبعد ما يكونون عن التأثر بأي مظهر من المظاهر الإغريقية، وقد كان من شأن الاحتفاظ في روما بأعداد كبيرة من العبيد والعتقاء الإغريق والشرقيين المتأغرقين نشر العادات الإغريقية بين الطبقات الوسطى، مثل ما كان من شأن قيام الجنود الرومان بحملات في بلاد الإغريق والشرق الهيلينسي وانتشار متوسطي الحال من رجال الأعمال في شرق البحر المتوسط اقتباس بعض المذاهب والمعتقدات الدينية [1].

هذا الاندماج والالتقاء بين الحضارتين أدى الى تأثر الرومان بالكثير من ثقافة اليونان وخاصة الجانب الديني العقدي، حيث اعتقد الرومان كما اعتقد اليونان من قبل بأن كل ما يحدث في هذا العالم مما قضت به إرادة خالق ما، ولكنهم لم يعتقدوا بوحدانية الخالق بل عددوا أربابهم بتعدد مظاهر الطبيعة التي تتجلى فيها أوامر آلهتهم ونواهيها، فهناك رب ينبت البذر وآخر يحمي الحقل وثالث يحرس الثمار وهكذا، ولكل رب اسمه وجنسه وعمله، فعندهم للسماء إله وللحرب إله وللشجاعة إله كما عند اليونان وسموا إله السماء جوبيتر و إله الحرب مارس، وقد اقتبسوا أيضاً بعض أسماء آلهتهم وخواصها من المصريين القدماء، فعندهم ايزيس إلهة القمر واوزيريس إله الزراعة، وكلها أسماء مصرية لآلهة مصرية، و إن الأرباب قد تعددت عند الرومان جداً فلكل مظهر من مظاهر الحياة رب، ولكل قوة في الإنسان رب، ولقد أتى عهد على الرومان كانوا يعبدون فيه الآلهة المتعددة من غير أن يتخذوا لها تماثيل بل كانوا يعبدونها من غير تماثيل خاصة لكل إله، فلم يكن في رومية في ذلك العهد صنم، ثم اتخذوا بعد ذلك الأصنام من الخشب أولاً، ثم اتخذوها من الرخام على مثال أصنام اليونان، ولم تكن آلهتهم على صورة حية من البشرية كآلهة اليونان فلم يصفوها بما يتصف به البشر من تحاب وتباغض وتقاتل كاليونان، ولم يفرضوا أن بين الأرباب صهرا أو نسباً وأن لكل إله تاريخاً يبتدئ من مولده بل كل ما ينحلونه للرب من أربابهم أنه يسيطر على قوة من قوى الطبيعة، ويعمل للناس الخير والشر على ما يحب ويريد[2].

« ففي خلال فترة توسع الامبراطورية الرومانية تغلغلت التأثيرات الاغريقية في الديانة الرومانية، واخذ هذا التغلغل مظهرين واضحين تماماً هما: تشبيه الآلهة الرومانية بالآلهة الاغريقية المتماثلة في الخصائص، اما المظهر الثاني: فكان استعمال الأساطير الدينية الاغريقية، بكثرة بعد مزجها بالروح والجو الروماني. وتدريجياً بدأ الرومان يعترفون رسمياً بمجموعة من الآلهة تماثل الآلهة الاغريقية الاثنا عشر التي كانت تشكل آلهة الاوليمبوس[3]، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك هي أن الآلهة ذات الأصل الاغريقي خلفت سريعاً الآلهة

(١) ينظر: الموسوي، هاشم عبود، (٢٠١٣م). موسوعة الحضارات القديمة، دار الحامد، عمان، الأردن، ط١، ص١٨٠-١٨١.

(٢) ينظر: ابو زهرة، محمد، (١٩٦٥م). الديانات القديمة، دار الفكر العربي، ص١١٤-١١٥.

(٣) المقصود بهم آلهة الأولمب الأثنا عشر في الأساطير اليونانية والرومانية. ينظر: إمام، عبد الفتاح إمام، معجم ديانات واساطير

اللاتينية الصغرى، وأن الآلهة الرومانية غير المشخصة اتخذت أشكالاً آدمية مثل الآلهة الاغريقية، مما أدى إلى كثرة الطلب على انتاج تماثيل للآلهة الرومانية على غرار تماثيل الآلهة الاغريقية»[١].

فقد استعار الرومان في الغالب من الإغريق معظم آلهتهم، وأضافوا إليها بعضاً من أساطيرهم بعد ان حولوا اسماء الآلهة الإغريقية إلى أسماء رومانية مثل (باخوس إله الخمر والنشوة عند الرومان) وأصله الإغريقي «ديوفيسوس[٢]» وهو ابن الإله «زيوس[٣]» وهو غله الخمر ويرمز له بالكرم والكأس [٤].

حيث كان هناك نوعان من الآلهة:

١) آلهة الدولة أو الالهة القومية الرسمية

٢) وآلهة الافراد أو الآلهة الشعبية [٥]

وكان أحب الآلهة القومية إلى قلوب الشعب الروماني، وأعظمها وأفضلها لديه هو الاله جوبيتير الذي يمثل رقعة السماء المتلألئة وضياء الشمس والقمر، وقصف الرعد، والاخصاب [٦]، لقد عبد الرومان آلهة كثيرة، بلغت في كثرتها الى الحد الذي جعل ول ديورانت يقول: (اننا لا نعرف قط ديناً يبلغ فيه عدد الآلهة ما بلغه الرومان، فقد قدرت بثلاثين ألفاً، بل ان بعض المدن الايطالية القديمة كان فيها من الآلهة أكثر مما فيها من الرجال) [٧].

وهناك عقيدة أخرى وهي « عبادة الأباطرة» ويقصد بها تكريم الأباطرة [٨] بعد موتهم وضمهم لصفوف الآلهة رسمياً بواسطة مجلس الشيوخ الروماني وهو السلطة الدينية المختصة وذلك لعمل عظيم أنجزوه أو اصلاح جليل او ما شابه ذلك، وعبادة الأباطرة هي عقيدة مضللة إذ لم يحدث كما قد يتبادر إلى الذهن أن أقيمت شعائر العبادة للإمبراطور أبان حكمه على اعتبار أنه إله وانما دائماً بعد موته. ولكن كان مما

العالم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج٢، ص٦١.

(١) الشيخ، الرومان، ص٢٣٥.

(٢) إله الخمر والنشوة عند اليونان واقترن أيضاً بالخصوبة وبوحي الشعراء. ينظر: إمام، معجم ديانات واساطير العالم، ج١، ص١٦٦.

(٣) إله السماء، وكبير الآلهة ورب الأرباب عن اليونان، وهو رئيس آلهة الأولمب الاثنا عشر. ينظر: إمام، المرجع السابق، ج٣، ص٤٩٣.

(٤) ينظر: الموسوي، موسوعة الحضارات القديمة، ص١٨٤.

(٥) ينظر: ورث، أ. ب. تشارلز، (٢٠٠٣م). الامبراطورية الرومانية، مكتبة الاسرة، القاهرة، ص١٦٠-١٦٣.

(٦) ديورانت، ويليام جيمس، (١٩٨٨م). قصة حضارة، دار الجيل، بيروت، لبنان، مج٣، ج١، ص١٢٧.

(٧) ديورانت، المرجع السابق، مج٣، ج١، ص ١٢٥.

(٨) جمع امبراطور: لقب يطلق على كل من يحكم إمبراطورية وقد يطلق على من لا يحكم إمبراطورية مثل إمبراطور الحبشة وإمبراطور اليابان، شخص يحكم أو يتولى الملك في منطقة بحكم الوراثة ولمدى الحياة «حكم الدولة الرومانية أباطرة كبار». ينظر: عمر، احمد مختار عبد الحميد، (٢٠٠٨م). معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، المكتبة الشاملة، ط١، ج١، ص١١٦.

يتفق والأفكار السائدة في العالم القديم أن يضم الحاكم العظيم بعد وفاته الى قائمة أسماء من تعبدهم الدولة، وبذلك يصبح إلهاً، ولقد انتهت العقلية الفلسفية في العصر الهلينستي إلى أن بعض الآلهة كانوا في الواقع فيما مضى آدميين غير مخلدين، ولكنهم دخلوا في عداد الآلهة نظراً لأنهم قاموا بأعمال فذة خارقة او إصلاحات جليلة، ولإظهارهم قدراتهم وملكاتهم[1]، وإن مما شجع على عبادة الأباطرة وبررها هو المفهوم الرواقي الديني يقول أن الروح الإنسانية هي قبس من نفس العالم الكلية، والقول أن الرجال العظماء يملكون نصيباً أوفى من العنصر الإلهي، ونظرية الميثولوجي يوهيميروس الذي عاش في القرن الثالث ق. م التي تقول: أن الآلهة انفسهم كانوا قبل ذلك بشراً عاشوا على الارض، فهذه الافكار والنظريات بررت ارتقاء شخصيات بشرية إلى مصاف الآلهة وطبقها الرومان، وهكذا أصبح من المعتاد رفع الأباطرة المحبوبين إلى مرتبة الألوهية بعد وفاتهم، وفيما يتعلق بالحكام الأحياء من الاباطرة فكانوا يعاملون كتلك الشخصيات المقدسة ورسمياً كانوا يقرنون بالآلهة ولكن مع نمو الاتجاهات الدينية التوحيدية فأصبح ينظر إلى هؤلاء باعتبارهم مختارين من العناية الإلهية ويقدسون بهذه الصفة، وإن عبادة الإمبراطور لم يكن أمر شكلي أو مفروض بالقوة أو أن الناس التزموا به خوفاً على حياتهم بل فعل الرومان ذلك بملء إرادتهم فسجدوا أمام الشخصيات الإلهية بدون أن يرغمهم أحد على ذلك، وقام أغسطس[2] الإمبراطور باتخاذ إجراءات للحد من إظهار آيات الولاء ولكنه لم ينجح، إذ إن روما بشوارعها كانت مزدانة بالتماثيل الفضية للإمبراطور وفي كل قرية معبد كحد أدنى[3].

بالرغم من صلة الحضارة الرومانية بالحضارة اليونانية وأثر هذه الحضارة فيها، وكثيراً ما يشار الى إمكان دمج الثقافتين اليونانية والرومانية تحت أسم واحد وهو (الحضارة الهلينية) إلا ان الثقافة الرومانية تميزت عن الثقافة اليونانية بخصائص تفرّدت بها، ومن ذلك أنها لم تعن بالفلسفة التي تفرّدت بها عبقرية اليونان ولكنها ميزّت نفسها بأمور اخرى منها القانون والشريعة وطرق الإدارة والتنظيم المدني والعسكري والاهتمام بطرق المواصلات والعمارات المدنية العامة[4].

(١) ينظر: ورث، الإمبراطورية الرومانية، ص١٦٤-١٦٥.

(٢) هو غايوس أوكتافيوس (٦٣ ق.م.-١٤م) أول امبراطور روماني، ابن بنت اخت (يوليوس قيصر) الذي تبناه وأعلنه وريثاً لاقطاعياته، ثم اشتهر بعد ذلك باللقب أوغسطس، وعقب مقتل قيصر علا شأنه في روما، ومنحه (مجلس الشيوخ الروماني - السناتو) عدة القاب من بينها امبراطور واغسطس. ينظر: نصار، حسين محمد وآخرون، (٢٠٠٩م). الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط٣، ج١، ص٣٣١، والشيخ، الرومان، ص١٦١.

(٣) ينظر: نصار، الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص٤١٩-٤٢٠.

(٤) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص٦٩٣.

ويتبين أن حضارة الرومان نتاج حضارة أعم، وهي الحضارة الهيلينية (الحضارة الاغريقية)، وتأثرت تأثراً عميقاً بالحضارة اليونانية وخاصة عبادة الآلهة والاساطير الاغريقية، والى ذلك فإن الحضارة الغربية تُعدُّ نتاج للحضارتين اليونانية والرومانية.

المطلب الثاني: اليهود وعلاقتهم بالحضارة الرومانية

على الرغم مما كانت تبديه روما من الانفتاح الفكري والعقدي على الآخر، إلا أن نظرتهم الى اليهودية كانت نظرة مختلفة يشوبها بعض الاشكاليات، وذلك بسبب أن اليهودية ذات صبغة قومية، وكذلك طبيعة الدين اليهودي وطقوسه وعباداته الخاصة، لذلك لم تكن العلاقة حميمة في الجانب العقدي والفكري بين الرومان واليهودية، بالإضافة الى تدخل الرومان في تعيين الملوك والكهنة لليهود، وكان هذا من اسباب التوتر بينهم، مع العلم ان الرومان لم يهتموا بالجانب العقدي الديني؛ لأنهم كما ذكرنا منفتحين على الديانات والعقائد ، ومن جانب آخر لم يرق لليهود رؤية الاديان الوثنية تمارس في احيائهم، وقد عمد الرومان في أعقاب الثورة اليهودية التي نشبت عام ٦٦ الى تدمير هيكل[١] اليهود- المزعوم- في القدس لكي يشلوا نشاط هذا الدين، فلم يبقَ أمام اليهود بعد ذلك إلا سبيلان هما إشعال نار الثورة فلا يلبث أن يسارع الرومان إلى قمعها أو أن ينصاعوا ويبدأوا العمل في صون دينهم دون الحاجة إلى هيكل كما فعل يوحنا بن زكاي[٢] الذي لجأ إلى جامنيا(وتبعد مسافة ثلاثين ميلا تقريباً عن القدس) حيث واصل العبادة في المجمع وبذلك ضمن الحياة والبقاء للديانة اليهودية[٣].

(١) الهيكل: كلمة يقابلها في العبرية «بيت همقداش»، أي «بيت المقدس»، أو «هيخال»، وهي كلمة تعني «البيت الكبير» في كثير من اللغات السامية ، ويُشار به إلى مسكن الإله، ومن أهم أسمائه (بيت يهوه)، ويعتبر أهم مبنى للعبادة اليسرائيلية، ومركز العبادة القربانية المركزية، ولم يكن دخول الهيكل مصرحاً للجميع، وانما كان مقصوراً على الكهنة، وجاء وصف للهيكل في العهد القديم، ويعتقد اليهود ان نبي الله سليمان عليه السلام هو الذي بناه، ويرى المسلمون أنه لا وجود لهيكل سليمان تحت المسجد الأقصى، وأنها قصة قد ألفها اليهود كذريعة لهدم المسجد الأقصى. ينظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الموجزة)، ج١، ص٤٠٩.

(٢) يوحنا بن زكاي: من اشهر حاخامات اليهود في القرن الاول الميلادي، هرب من اورشليم (القدس) أثناء الحصار الروماني؛ وذلك خشية أن يباد كل الفقهاء والحاخامات اليهود ولا يبقى منهم احد يحمل الشريعة الشفوية، وقام بن زكاي بإقامة مدرسة تلمودية وسنهدرين في مدينة يغنة، وكان أعضاء السنهدرين من معلمي الشريعة ولم يكن لهم أية سلطة سياسية، وقد فعل بن زكاي ذلك لأنه يؤمن بان استمرار اليهودية بعد سقوط اورشليم يتوقف على الولاء للتراث اليهودي وليس على الاستيلاء على المدينة او الهيكل، وقد تحول يوحنا الى رمز الاستمرار والبقاء اليهوديين باعتباره قد أوجد لليهود وطناً ومركزاً روحياً بعد فقدانهم وطنهم المادي الوحيد. ينظر: المسيري، عبد الوهاب محمد، (١٩٧٥م). موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الاهرام، مصر، ص ٤٥٩.

(٣) ينظر: ورث، الامبراطورية الرومانية، ص١٧٤. بتصرف

لقد لاقى اليهود أسوا الحالات في عهد (الدولة السلوقية)[١] وخصوصاً في عهد الملك السلوقي أنطوخيوس الرابع فقد دمر هذا الملك الهيكل ونهب خزائنه، واجبر اليهود على نبذ اليهودية، واعتناق الوثنية اليونانية وهنا أخذ الصراع بين اليهودية والإغريقية يشتد يوماً بعد يوم، حتى اندلعت الثورة المكابية[٢]، وقد اطلق على عصرهم الذي دام قرناً وربع القرن من ١٦٦-٣٧ ق.م اسم العصر المكابي[٣]، وفي هذا العصر المكابي استطاع اليهود أن ينتزعوا من السلوقيين كياناً شبه مستقل دام ما يقرب من قرن لم يكن لليهود خلاله كيان متماسك، وإنما كانوا متنازعين فيما بينهم على السلطة، كتنازعهم عليها بعيد موت نبي الله سليمان عليه السلام، واحتل بومبي الروماني مدينة القدس بدعوة من اليهود الفريسيين[٤]، فاستباح القدس عند فتحها، فنهبها وفتك بسكانها، ولم يكن اليهود في هذا العهد أحسن حالاً مما كانوا عليه في العهد الاغريقي، فكانوا بين المد والجزر أيضا في ظروف مضطربة ناجمة عن صراع الزعماء الرومان ما بينهم على الحكم[٥].

بعد أن سقطت الدولة السلوقية على يد الرومان عام ٦٣ ق.م أصدر مجلس الشيوخ الروماني قراراً بتعيين هيرود[٦] ملكاً على اليهود عام ٤٠ ق.م[٧]، واستمر حكمه في فلسطين حتى وفاته ٤ق.م، حيث

(١) الدولة السلوقية: نسبة إلى مؤسسها (سلوقس الاول: ٣٥٨-٢٨٠ ق.م)، أحد قواد (الاسكندر الاكبر)، الذي تمزقت دولته اليونانية المترامية الأطراف بوفاته عام ٣٢٣ ق.م، وبلغت الدولة السلوقية ذروة مجدها (الشام، وآسيا الصغرى، وبابل، افغانستان)، وقد سقطت الدولة على يد الرومان عام ٦٣ ق.م. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج٤، ص١٨٧٩، القاموس الاسلامي، احمد عطية الله، ج٣، ص٤٤٦.

(٢) سُميّت بالمكابية نسبة الى المكابيين وهم أسرة يهودية من الكهنة الملوك التي حكمت اليهود في فلسطين، قادت المقاومة ضد محاولة القواد السوريين إحلال النظم والطقوس الهيلينية محل الطقوس اليهودية، وكونت جيشاً سرياً، نظم حرب عصابات، وتنتسب هذه الاسرة الى الكاهن (يهودا المكابي) او (ماكبياس) الذي قاد الثائرين حتى قتل في عام ١٦١ق.م. وفي الكتابين الآخرين من العهد القديم تفاصيل هذه المقاومة. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج٦، ص٣١٩٤. وشلبي، أحمد، (١٩٨٨م). اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ص٨٧.

(٣) عرابي، رجا عبد الحميد، (٢٠٠٦م). سفر التاريخ اليهودي، دار الاوائل، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، ص٢٣٥.

(٤) الفريسيون: فرقة من اليهود يجهرون بأنهم أكثر استمساكاً بالدين من سائر أبناء ملتهم، وبأنهم أدق من غيرهم في تفسير شرائعهم، وكانوا يدعون أنفسهم الأحبار، أو الربانيين، واهم معتقداتهم أن الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم مخلوقة منذ الأزل وكانت مدونة على الألواح المقدسة، ثم أوحيت الى موسى، كذلك تؤمن هذه الفرقة بالتلمود، وبسلطة الحاخامات على اليهود. ينظر: سعفان، كامل، اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، ص٢٠٤.

(٥) ينظر: سُنَقرط، داؤود عبد العفو، (١٩٨٤م). جذور الفكر اليهودي، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ص١٢٦-١٢٧، سوسة، احمد، العرب واليهود في التاريخ، العربي للإعلان والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ص٣٢٥- ٣٢٦.

(٦) هيرود: (٧٣ ق.م - ٤م) هو ملك اليهود وابن انتيباتر الأدومي، وقد نصب ملكاً من قبل مجلس الشيوخ الروماني، واستولى على القدس بمساعدة قوة رومانية كبيرة، وقام بإعادة بناء الهيكل وزاد من ثروة مملكته بتشجيع التجارة، وكان مكروهاً من اليهود لأنه كان ضد القومية اليهودية. ينظر: المسيري، موسوعة المفاهيم، ص٤٢٥، عرابي، سفر التاريخ اليهودي، ص٢٣٩.

(٧) ينظر: ظفر الاسلام خان، (١٩٨١م). تاريخ فلسطين القديم، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٣، ص ٨٣ و٨٦.

اعاد بناء الهيكل في القدس ولكن اليهود كانوا يمقتونه لقساوته الوحشية ولاندفاعه في نشر الثقافة اليونانية والرومانية وانشاء معابد للأصنام في المدن الفلسطينية، ثم اضطربت الاحوال وسادت الفوضى بعد تولي مجموعة من الحكام الرومانيين كلهم سيئو الاخلاق ومرتشون فقام اليهود بثورة عارمة على الحكم الروماني[1].

لم ينفك الرومان منذ استيلائهم على فلسطين، يسومون اليهود سوء العذاب، فحينما حطمت القوات الرومانية معابدهم في فلسطين سحبوهم أسرى في شوارع روما يدفع شبانهم العربات، ويحملون الأحجار، ويتساقطون في الطرقات، ويطلقون عليهم الوحوش ويأتون بكبارهم من المحاربين ومن رجال الدين ويعلقون الأحجار في أعناقهم ثم يلقون بهم في الآبار ويدفنونهم أحياء، وفي سنة ٦٧م أرسل الامبراطور نيرون[2] قائده الى القدس فقتل من اليهود آلافا حرقاً وصلباً[3].

لقد دأب اليهود على افتعال المشكلات المتلاحقة للرومان، فأرسل الرومان جيشاً تمكن عام ٧٠م من فتح القدس، وتدمير الهيكل، وتشريد جميع اليهود عنها، ولكن على الرغم من حرص الرومان على جعل عودة اليهود إلى سُكنى القدس أمراً مستحيلاً فإن من بقي منهم - بحجة إنكار يهوديته - لم يكف عن التآمر ضدهم، فأرسلوا جيشاً آخر، تمكن عام ١٣٥م من إلحاق الهزيمة بهم، وتدمير القدس، ومحو اسمها المعروفة به - عندهم - (اورشليم)، وأطلقوا عليها مسمى (إيليا كابتولينا)، ثم أزالوا معالم الهيكل الأثري، وأقاموا على أنقاضه معبداً وثنياً للمعبود الروماني (جوبيتر)، وبذلك تم تشريد اليهود نهائياً في أرجاء الدولة الرومانية الواسعة[4]، وكما يقول ول ديورانت: لقد حرم عليهم أن يدخلوا المدينة المقدسة وأرغموا على تسليمها للوثنية ثم للمسيحية، وشردوا في كل ولاية من ولايات الدولة الرومانية وإلى ما وراء حدود تلك الدولة وضربت عليهم الذلة والمسكنة، ولم يجدوا لهم صديقاً حتى بين الفلاسفة والقديسين، فابتعدوا عن المناصب العامة وعكفوا في عزلتهم على الدرس والعبادة، واستمسكوا أشد الاستمساك

(١) ينظر: سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص٣٢٥- ٣٢٦.

(٢) نيرون:(٣٧-٦٨م): إمبراطور روماني حكم روما من عام ٥٤م إلى حين وفاته عام ٦٨م اشتهر عهده بالطغيان وحريق روما المشهور الذي دبّره حتى يتهم النصارى، وكسب بذلك شعبية كبيرة باعتباره المنقذ لروما من الإرهابيين النصارى. كان والده من النبلاء ووالدته هي أجربينا الصغرى حفيدة الإمبراطور أغسطس، وكان نيرون يلقي بالنصارى إلى الوحوش الجائعة المفترسة، وكان يتفنن في تعذيبهم، قتل امه وزوجته اوكتافيا، ومات منتحرا. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج٧، ص٣٤٤٨، والبار، محمد علي، (٢٠١١م). دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، ص٤١٤.

(٣) وافي، علي عبد الواحد، اليهودية واليهود، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، د ط، ص١١٧.

(٤) ينظر: الزغيبي، أحمد عبد الله، (١٩٩٨م). العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ج٤، ص٢٦-٢٧.

بأقوال علمائهم، وأخذوا يتأهبون لكتابتها آخر الأمر في تلمود[1] بابل وفلسطين. وهكذا اختبأت اليهودية في ظلمات الخوف والفزع، بينما كانت وليدتها المسيحية تخرج لفتح العالم وسيادته[2].

«ولكن كل هذه النكبات والفشل المرة تلو المرة لم يُفقد اليهود ترابطهم القومي وتعصبهم العنصري، رغم تفرقهم وتشتتهم وانتشارهم في أنحاء الإمبراطورية الرومانية الواسعة، وهجرة بعضهم شرقاً الى الإمبراطورية الفارسية المجاورة، وكل ذلك بفضل مساعي وتوجهات مجلسهم الأعلى (مجلس السنهدرين[3])».

والآن؛ وبعد هذا الفشل المتلاحق؛ عمد اليهود إلى تغيير أساليبهم، فنبذوا فكرة استعمال القوة، إلى التَّملُّق للرومان، واللجوء إلى الدَّسّ، وبذر بذور الشقاق، وإطلاق الشائعات المُغرضة، وتسخير نسائهم الجميلات في حلّ الأمور المستعصيَّة كُلُّ ذلك كان تنفيذاً لتعاليم المجلس الكهنوتي الأعلى مجلس السنهدرين التي كانت تُبلَّغ لليهود بصورة سرّيَّة أينما كانوا، بعد أن تفرَّقوا في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وبفضل هذه الأساليب الجديدة؛ تمكَّنوا من التَّقرب إلى الرومان، فأصبح منهم المستشارون، وأصحاب النفوذ في بلاط الأباطرة الرومان، كما توصَّل بعضهم لاحتلال مراكز حسَّاسة في أجهزة الدولة المختلفة، وكان هدفهم الانتقام من الرومان، ومحاربة العدو الجديد وهو النصرانية، التي شعروا بخطرها وتفاقم أمرها، وآلوا على أنفسهم أن يوقعوا الخصام بين الرُّومان والنصارى، بغية إضعاف الطرفين، حتى يتمكنوا منهما فيما بعد»[4].

اجتمعت اليهود الهاربة بعد تدمير المدينة وزوال الهيكل، وتدارسوا امرهم قبيل رحيلهم وشتاتهم في المنافي والمعازل (الدياسبورا) على خمسة مبادئ ظلت دستور عملهم وهي:

---

(١) تلمود: هو أحد كتب اليهود الدينية التي نقلها الاحبار اليهود وهو عبارة عن موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتأملات الميتافيزيقية والتاريخ والآداب والعلوم، ويوجد تلمودان، التلمود البابلي والتلمود الفلسطيني(الاورشليمي)، وكلاهما مكون من المشناه والجماراه، ووجه الاختلاف بينهما هو في الجماراه وليس في المشناه لانها واحدة، والتلمود مقدس لدى طوائف اليهود جميعاً عدا ثلاث طوائف. ينظر: المسيري، موسوعة المفاهيم، ص١٤١. والزغيبي، العنصرية اليهودية، ج١، ص١٠١.

(٢) ينظر: ديورانت، قصة حضارة، المجلد ٣، ج٥، ص١٩٥-١٩٦.

(٣) السنهدرين هي صيغة عبرية للكلمة اليونانية (سندريون) وتعني (المجلس)، وقد كان هذا الاسم يطلق على الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية المهمة في المناطق التي كان يعيش قيها اليهود في فلسطين وكان السنهدرين بمنزلة المحكمة (بيت دين)، ولذا يطلق عليها المحكمة العليا، فهو يعتبر أعلى سلطة قضائية لليهود، وأهم ركائز هذا المجلس: ١) إصدار الأحكام طبقاً للشريعة اليهودية. ٢) تشريع القوانين الخاصة بالعبادات ومحاكمة من ينتهك هذه القوانين.٣) الإشراف على الاحتفالات الكهنوتية في المعبد. ٤) يقوم بتعيين القضاة في المحاكم الدنيا سواء في محاكم السنهدرين الأصغر أو في غيرها. ٥) يحاكم كبار الموظفين، مثل الكاهن الأعظم. ينظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية(الموجزة)، ج١، ص٣٨٠.

(٤) عرابي، سفر التاريخ اليهودي، ص٢٤٤.

١) أن يبقوا محافظين على دينهم ، مهما لاقوا في ذلك من عنت وعناء، وعلى لغتهم إلى جانب أي لغة قد يضطرون إلى تعلمها.

٢) وأن يبقوا على اتصال دائم فيما بينهم، مهما بعدت الشقة وتفرقت بهم السبل

٣) وأن يعملوا، وبكافة الوسائل المتاحة، على الرجوع إلى أرض الميعاد.

٤) وان يقولوا كل صباح: « شلت يميني ان نسيتك يا أورشليم.

٥) ويعملوا على إفساد جميع شعوب الأرض ، بأية وسيلة ممكنة. حمل اليهود مبادئهم الخمسة هذه، وتشتتوا في جميع أنحاء الأرض يعملون بها، وكانت هذه المبادئ هي السبب المباشر في كل ما تعرض له اليهود من ويلات [١].

وفي عام ٢١٢م أصبح من حق اليهود ان يصيروا مواطنين رومانيين لكن من الدرجة الثالثة فقد ضربت عليهم الذلة ولم يؤخذ بشهادة اليهودي أمام المحاكم، هكذا كان امر اليهودية داخل حدود الامبراطورية الرومانية أما في البلاد العربية فقد كان الأمر غير ذلك، حيث أحسن الإسلام الى اليهود ففي بلاد العراق عادت الى اليهودية حريتها وطقوسها واخذ اليهود يقبلون على فلسطين ثانية بعد أن حرموا منها قرونا طويلة [٢].

يتبين مما سبق بان علاقة الرومان باليهود كانت مضطربة ومتوترة وارضاً خصبة للصراعات والحروب بينهما وذلك نظراً للطبيعة الحساسة للديانة اليهودية، حيث لم يرق لليهود رؤية الاديان الوثنية تمارس في مناطقهم، بالإضافة الى تدخل الرومان في تعيين الملوك والكهنة وأدارتهم للإقليم اليهودي، ومع ذلك تمتعت المجتمعات اليهودية في روما بامتيازات عن باقي المجتمعات الاخرى، وازدهرت اقتصادياً، واصبحت جزءاً مهماً من سكان الامبراطورية.

المطلب الثالث: اعتناق الرومان للديانة النصرانية

كانت الحكومة الرومانية قبل أيام المسيحية تُظهر في أغلب الأحيان للأديان المعارضة للدين الوثني المقرر انفتاحاً؛ فلم تكن تطلب من أتباع العقائد الجديدة إلا أن يأتوا ويمجدوا الآلهة ورئيس الدولة. ولهذا آلم الأباطرة أن يجدوا أن المسيحيين واليهود، دون سائر أتباع الأديان الخارجة على دين الدولة، هم الذين يأبون أن يعظموا عبقرياتهم ذلك أن إحراق البخور أمام تمثال الإمبراطور كان قد أصبح دليل الولاء للإمبراطوريّة وتوكيداً لهذا الولاء، لكن الكنيسة كانت ترفض من ناحيتها الفكرة الرومانية القائلة بأن الدين

(١) سُنَقرط، جذور الفكر اليهودي، ص ١٢٩.

(٢) علي، فؤاد حسنين، (١٩٦٨م). اليهودية واليهودية المسيحية، معهد البحوث والدراسات العربية، دار العالم العربي، د ط، ص٧.

خاضع للدولة، وترى في عبادة الإمبراطور نوعاً من الشرك وعبادة الأصنام، ولذلك أمرت أتباعها أن يرفضوا هذه الشعائر مهما ينالهم من الأذى بسبب هذا الرفض، واستدلت الحكومة الرومانية من هذا على أن المسيحية حركة متطرفة تعمل في السر على قلب النظام القائم[1].

واستناداً لذلك عانت المسيحية من اضطهاد الرومان الشيء الكثير طيلة ما يزيد على ثلاثة قرون، حيث بدأت الاضطهادات الرومانية ضد المسيحيين سنة ٦٤م تعرضوا فيها الى عشر اضطهادات أساسية ارتبطت بالأباطرة، وكان ابشعها التي عاناها المسيحيون في عهد نيرون الطاغية ٦٨م، فقد القى بعضهم للوحوش الضارية تنهش أجسامهم، وأمر فطليت أجسام بعضهم بالقار وأشعلت لتكون مصابيح بعض الاحتفالات التي يقيمها نيرون في حدائق قصره، كما امر بإحراق روما واتهم المسيحيين بإحراقها، وفي عهد الامبراطور دقلديانوس[2] أمر بهدم الكنائس المسيحية واعدام كتبها المقدسة وآثار آبائها، وسجن الاساقفة، وانتهت الاضطهادات سنة ٣١٣م لما اصدر الامبراطور قسطنطين[3] مرسوم ميلانو الذي سمح للمسحيين لأول مرة بممارسة شعائرهم الدينية بحرية في الدولة الرومانية[4].

بدأ اضطهاد المسيحيين منذ عهد مبكر، وكان المسيح ضحية هذا الاضطهاد، وكان اليهود مصدر هذه القسوة، ولكن المسيحية بدأت تنتشر على الرغم من اليهود، وحينئذ تقدم أباطرة الرومان لاضطهاد المسيحيين؛ لأن هؤلاء الأباطرة كانوا لا يعرفون من أمر الدين الجديد إلا أنه امتداد لليهودية، وكانت هذه موضع كراهية من الوثنيين على غير ما جرى العرف عليه من إباحة الحرية الدينية لسكان الإمبراطورية؛ ذلك لأن اليهودية أثارت بتعصبها الحقد في القلوب، وكان الأباطرة قبل المسيح يقومون بحماية السكان من ضراوة هذا الحقد، حتى إذا أحسوا بأنها ستبدو في ثوب جديد هو (المسيحية)، وتجذب كثرة من الأنصار الجدد، يشيعون تعصبها، ويثيرون حقد الناس عليها، أخذوا في مقاومة تعاليمها واضطهاد

(١) ينظر: ديورانت، قصة حضارة، المجلد٣، ج٦، ص٣٧٠-٣٧١.

(٢) دقلديانوس: (٣٤٥-٣١٣)، إمبراطور روماني حكم الإمبراطورية (٢٨٤-٣٠٥)، ولد في سالونا بدالماشيا لأبوين متواضعين، وكان أول امره جندياً، أخضع الفرس ٢٩٨ وطَرَد من الإمبراطورية بعض غزاة البرابرة، وفي عهده اضطهد المسيحيون اضطهاداً شديداً، واخفقت بعض الإصلاحات الاقتصادية، وأفضى تقسيم الإمبراطورية الذي أوجده إلى حروب كثيرة بعد اعتزاله الحكم، وقضى خريف حياته في قصر في سالونا. ينظر: نصار وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، ج٣، ص١٥١١.

(٣) قسطنطين: يعتبر اول امبراطور روماني يعلن المسيحية ديانة رسمية للدولة الرومانية، ولد في نايسا (نيس حالياً في جنوب فرنسا) عام ٢٧٥م، وكان والده قائد فرقة في الجيش الروماني ثم أصبح امبراطوراً، وكان قسطنطين ضابطاً كبيراً في الجيش مثل والده، وبعد وفاة والده أعلن قسطنطين خلفاً لوالده، وكان وثنياً يعبد الشمس وقيل انه اعتنق النصرانية قبل وفاته، وفي عام ٣٢٥م عقد مجمع نيقيه الذي قرر فيه العقيدة المسيحية، واثبت التثليث الذي لا تزال النصرانية تدين به. ينظر: البار، دراسات في العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص٤٢٤-٤٢٥.

(٤) ينظر: عرموش، احمد راتب، وآخرون، (٢٠٠٧م). موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٤، ص٩٣-٩٤، وشلبي، المسيحية، ص٨٣.

اتباعها، ومما أثار حقد الرومان أيضاً على المسيحية أنها أخذت من اليهود تعصبها، فأعلنت حتى في عهود ضعفها أنها تناصب العقائد الأخرى العداء، وأنها ستعمل على إبادة المذاهب الفكرية الأخرى، وعلى تحطيم الحضارة الرومانية عندما تتهيأ لها الفرصة[١].

يئس الاباطرة من حلم استئصال المسيحية واضطروا الى وقف المذابح البشرية لعدم جدواها؛ ولأنها خلقت الخراب وأدت الى اضعاف الانتاج الزراعي ونقص اليد العاملة وتدهور الاقتصاد في كثير من اجزاء الامبراطورية، واعترفوا بالأمر الواقع وأعادوا للمسيحيين حرية العبادة، ثم رأى قسطنطين أنه من الافضل ان يكسب المسيحيين الى جانبه لأنهم بمرور الزمن أصبحوا نسبة لا يستهان بها فاعتنق المسيحية وجعلها ديانة الدولة الرسمية وانتهى على يديه عهود الاضطهاد[٢].

حيث عرض قسطنطين السلام على الكنيسة على شريطة أن تعترف بالدولة وأن تشد أزر السلطة الامبراطورية، وقبلت الكنيسة هذا العرض[٣]، وحصل الامبراطور قسطنطين على تأييد الكنيسة حيث رفعته الى الحكم ضد منافسيه، ويعتبر توليه عرش الامبراطورية عند النصارى فاتحة خير وبركة على المسيحية، حيث أصبح رجال الدين النصارى يتمتعون بالمناصب العليا في الدولة، وتدرجوا بهذه المناصب حتى صارت رتبة البابا أعظم من رتبة الإمبراطور نفسه[٤].

كما أنه بدأ البداية التي جعلت من الكنيسة مؤسسة مالكة عظيمة تملك الدور والأراضي فقد سمح للهيئات والمؤسسات المسيحية بقبول العطايا والهبات والأوقاف كما أنه نفسه أقطعها الثروات والأراضي، واعترف قسطنطين بيوم الأحد ليكون يوم راحة وعطلة رسمية، وكان الأحد عند الرومان (يوم عبادة الشمس)، وأقر المبدأ الأثناسي[٥] ورفض المذهب الأريوسي[٦] الذي كان ينكر كون طبيعة المسيح مساوية لطبيعة الله أو مادته، وذلك في اجتماع مجمع نيقيه[٧] الكنسي سنة ٣٢٥م الذي جرت فيه

---

(١) ينظر: شلبي، أحمد، (١٩٩٨م). المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط١٠، ص٨٢.

(٢) ينظر: الناصري، تاريخ الامبراطورية الرومانية، ص٤٩٣.

(٣) م. رستوفنزف، (١٩٥٧م). تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، د ط، ج١، ص٦٠٩.

(٤) ينظر: الخطيب، محمد احمد، (٢٠٠٨م). مقارنة الأديان، دار المسيرة، عمان، الاردن، ط١، ص٢٥٦.

(٥) وهي عقيدة أساسية للمسيحية قائمة على مبدأين هما: التثليث والتجسد، أي أن الإله يوجد في ثلاثة اقانيم-الآب والابن وروح القدس- بجوهر واحد، وأن الله نزل إلى الدنيا في صورة المسيح ليخلّص الناس من خطيئاتهم-تعالى الله عما يقولون-، وسميت بالعقيدة الأثناسية نسبة إلى أسم أسقف الإسكندرية (أثناسيوس) في القرن الثالث. ينظر: مِير، ساجد، (٢٠٠٢م). المسيحية، دار السلام، الرياض، السعودية، ط١، ص١٦-١٨.

(٦) نسبة إلى أريوس أحد علماء المسيحية وزعمائها في القرن الثالث ولم يكن يؤمن بألوهية المسيح الكاملة، فأعلنت الكنيسة براءتها عنه واعتبرته مبتدعاً خارجاً عن الدين. ينظر: مِير، المسيحية، ص١٥.

(٧) هو اول المجامع المسكونية واخطرها، عقد في سنة ٣٢٥م، وكان عقده رداً على الوحدانية التي تزعمَّ أريوس القول بها،

المناظرة الدينية الشهيرة بين أتباع أريوس وبين أتباع اثناسيوس(وكلاهما من أساقفة الإسكندرية)، فأقر المبدأ الاثناسي ورفض المذهب الأريوسي الذي كان ينكر كون طبيعة المسيح مساوية لطبيعة الله أو مادته[1].

أكبر الظن أن اعتناق قسطنطين للمسيحية كان لمصلحة سياسية وليس عن عقيدة دينية، لقد أعتنقت أمه هلينا الدين المسيحي، ولعلها افضت الى ولدها بفضائل المسيحية، كما أنه تأثر بما ناله من انتصارات في المعارك الحربية التي خاض غمارها مستظلاً بلواء المسيح وصليبه، وكان في أثناء حكمه كله يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون، لم يكن يعنى بالفروق اللاهوتية التي كانت تضطرب لها المسيحية، فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية، واستدعى قسطنطين المنفيين من المسيحيين، وأعاد إليهم كل ما فقدوه من الامتيازات والممتلكات، وأُعفيت أملاك الكنيسة من الضرائب، وأجاز لها امتلاك الأرض وقبول الهبات، وكذلك وهب قسطنطين أموالاً إلى المجامع الدينية المحتاجة إليها، ودعا رعاياه أن ينهجوا نهجه في اعتناق الدين الجديد[2].

تعصبت الطبقة الدنيا الكادحة للمسيحية حيث كانت أسرع طبقات الامبراطورية الرومانية الى الايمان بالعقيدة الجديدة لأنها طبقات ساخطة على الظلم الذي حاق بها، بينما تعصب الاستقراطيون للوثنية، وتحول الصراع بين الكنيسة والدولة الى صراع طبقي اجتماعي قبل ان يكون صراعا عقائدياً، ولما وجد البيروقراطيون والاقطاعيون واصحاب المصالح أن الاباطرة أصبحوا مسيحيين تحولوا من الوثنية الى المسيحية حفاظا على استمرار مراكزهم وثرواتهم ووضعهم المميز مما ادى الى سخط طائفة من المسيحيين على قبول هذا النوع من العباد الجدد[3].

من الاسباب التي ساعدت على انتشار المسيحية انها تشربت بالأفكار الاغريقية واستخدمت اللغة الاغريقية العامية، ولم تستخدم اللغة الآرامية اللغة التي وعظ بها السيد المسيح عليه السلام نفسه بها[4]، حيث تم تداول انجيل يوحنا - الذي يعتبر نموذج لنتاج المزيج بين النظريات البوليسية والافكار الاغريقية- بين الناس في النصف الثاني من القرن الثاني، وكان فيه -حسب زعمهم- أن المسيح ابن الله، وأنه هو المخلِّص، وعلى عظمة روح القدس، انتشرت هذه الأفكار وأثرت في جميع المفكرين والفلاسفة

وكان عقده بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير، كان عدد الذين حضروه ٢٠٤٨ من لآباء الروحانيين واشتد الخلاف بينهم حول الوهية المسيح وتبنَّت الأغلبية الساحقة راي أريوس، ثم اعيد عقد الاجتماع ولم يحضره الا القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم ٣١٨ أسقفاً. ينظر: شلبي، المسيحية، ص١٩٨.

(١) ينظر: باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، ص٦٧٥-٦٧٦.

(٢) ينظر: ديورانت، قصة حضارة، المجلد الثالث، ج٦، ص٣٨٦-٣٨٩.

(٣) ينظر: الناصري، تاريخ لامبراطورية الرومانية، ص٤٩٢-٤٩٣.

(٤) الناصري، المرجع السابق، ص٤٩٢.

المتأخرين الى ان تم اتخاذها وتبنيها في مجمع نيقية ٣٢٥م[١].

لذا يتضح لنا مما سبق:

- أن الحياة الدينية للمجتمع الروماني تغيرت في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول بعد اعتناقه للمسيحية شكلياً، واستطاع بحنكته وخبرته السياسية تهدأت التوتر في الامبراطورية واستقرارها.
- وانتشار المسيحية في ربوع الامبراطورية الرومانية واعتبارها الديانة الرسمية لها، وتغيير حال المسحيين الذين يمثلون جزء من المجتمع الروماني من القهر والاستبداد والاضطهاد بشتى انواعه الى العفو عنهم، والسماح لهم بممارسة طقوسهم الدينية.
- وان المسيحية كانت من قبل موحدة تؤمن بالله الواحد لكنها لم تستطع مواجهة الوثنية الرومانية الحافلة بشتى الفلسفات والأفكار، فظهرت فكرة التثليث وألوهية عيسى عليه السلام فظاهر الأمر بالنسبة للنصارى يعتبرون اعتناق الدولة الرومانية للنصرانية انتصاراً لكن هذا الامر لم يكن الا ظاهرياً، حيث كانت للوثنية الرومانية الاثر البارز في انحراف النصرانية عن عقيدتها التوحيدية، وكذلك الكنيسة باعتبارها هي القوة المتحكمة في امور المسيحية كان لها دور في هذه النتيجة من خلال تقديم التنازلات والموافقة على الحلول الوسط.

(١) ينظر: مِير، المسيحية، ص٦٨.

الخاتمة

واستناداً لما سبق فقد تبين أن:

- حضارة الرومان فرعاً من حضارة أعم، وهي الحضارة الهلينية أي الحضارة الاغريقية.
- تأثر الرومان تأثراً عميقاً بالديانة الوثنية الاغريقية، وكان لهذه الديانة الوثنية التي كان الرومان يعتنقونها الأثر الكبير في توتر العلاقة بينهم وبين اليهود الذين كانوا يعيشون بينهم، وارضاً خصبة للصراعات والحروب بينهما وذلك نظراً للطبيعة الحساسة للديانة اليهودية، حيث لم يرق لليهود رؤية الاديان الوثنية تمارس في مناطقهم.
- وبالمقابل كان لليهود دور وأثر في اعتناق الرومان للديانة المسيحية من خلال المؤامرات التي كان اليهود يكيدونها ضد المسيحيين الذين كانوا يمثلون الأغلبية في الدولة الرومانية.

المصادر والمراجع

- ابو زهرة، محمد، (١٩٦٥م). **الديانات القديمة**، دار الفكر العربي.
- الأعرجي، حميدة، (٢٠٢١م). **ميثولوجيا الشيطان**، مطبعة الثقلين، العراق، الطبعة الأولى.
- إمام، عبد الفتاح إمام، **معجم ديانات واساطير العالم**، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- أيوب، أبراهيم رزق الله، (١٩٩٦م). **التاريخ الروماني**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى.
- البار، محمد علي، (٢٠١١م). **دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية**، دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية.
- باقر، طه، (٢٠١١م). **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، دار الورّاق، بغداد، العراق.
- حمد، حسين علي، (١٨٨٨م). **قاموس المذاهب والأديان**، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.
- الخطيب، محمد احمد، (٢٠٠٨م). **مقارنة الأديان**، دار المسيرة، عمان، الاردن، الطبعة الأولى.
- ديورانت، ويليام جيمس، (١٩٨٨م). **قصة حضارة**، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- رستوفنزف، (١٩٥٧م). **تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، بدون طبعة.
- سة نكاوى، فاتح محمد سليمان، (٢٠١١م)، **معجم مصطلحات الفكر الاسلامي المعاصر**، دار الكتب العلمية، لبنان.
- السعدني، محمود إبراهيم، (١٩٩٨م). **حضارة الرومان منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الاول الميلادي**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، الطبعة الاولى.
- سعفان، كامل، اليهود **تاريخ وعقيدة**، دار الاعتصام، القاهرة، مصر.
- سُنَّقرط، داؤود عبد العفو، (١٩٨٤م). **جذور الفكر اليهودي**، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الثانية.
- سوسة، احمد، **العرب واليهود في التاريخ**، العربي للإعلان والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
- شلبي، أحمد، (١٩٨٨م). **اليهودية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة.
- شلبي، أحمد، (١٩٩٨م). **المسيحية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة العاشرة.
- الشيخ، حسين، (٢٠٠٥م). **الرومان**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، بدون طبعة.
- ظفر الاسلام خان، (١٩٨١م). **تاريخ فلسطين القديم**، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.
- عرابي، رجا عبد الحميد، (٢٠٠٦م). **سفر التاريخ اليهودي**، دار الاوائل، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية.

- عرموش، احمد راتب، وآخرون، (٢٠٠٧م). **موسوعة الأديان الميسرة**، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة.
- علي، فؤاد حسنين، (١٩٦٨م). **اليهودية واليهودية المسيحية**، معهد البحوث والدراسات العربية، دار العالم العربي، بدون طبعة.
- علي، محمد، **حضارة الرومان**، ktab INC.
- عمر، احمد مختار عبد الحميد، (٢٠٠٨م). **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، المكتبة الشاملة، الطبعة الاولى.
- غريمال، بيار، (١٩٨٢م).**الميتولوجيا اليونانية**، ترجمة: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى.
- المالح، آية، (٢٠٢١م). **الحضارة الرومانية إحدى أهم حضارات أوروبا**، موقع حضارة.
- المسيري، عبد الوهاب محمد، (١٩٧٥م). **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية**، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الاهرام، مصر
- المصري، أبو سعيد، **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي**، المكتبة الشاملة.
- الموسوي، هاشم عبود، (٢٠١٣م). **موسوعة الحضارات القديمة**، دار الحامد، عمان، الأردن، الطبعة الاولى.
- مير، ساجد، (٢٠٠٢م). **المسيحية**، دار السلام، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى.
- الندوي، علي أبو الحسن، (١٤٢٥هـ). **السيرة النبوية**، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، الطبعة الثاني عشر.
- نصار، حسين محمد وآخرون، (٢٠٠٩م). **الموسوعة العربية الميسرة**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.
- وافي، علي عبد الواحد، **اليهودية واليهود**، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، بدون طبعة.
- ورث، أ. ب. تشارلز، (٢٠٠٣م). **الامبراطورية الرومانية**، مكتبة الاسرة، القاهرة.